

مرسائل الصاحب بن عباد: التبشير بالفتوح اختصاراً
((دراسة نقدية في ضوء علم الاجتماع الادبي))

**Letters of Sahib Ibn Abbad: Conquest Proselytism
(A Critical Study in Terms of Literary Sociology)**

م. د. زكي عباس راضي

Lectur. Dr. Zaki `Abbas Radhi

رسائل الصاحب بن عباد: التبشير بالفتوح اختياراً
(دراسة نقدية في ضوء علم الاجتماع الادبي)
**Letters of Sahib Ibn Abbad: Conquest Proselytism
(A Critical Study in Terms of Literary Sociology)**

م.د. زكي عباس راضي
Lectur. Dr. Zaki `Abbas Radhi
جامعة القادسية / كلية التربية / قسم اللغة العربية
Dept of Arabic/College of Education/
University of Al-Qadisiya

Zeki.rady@qu.edu.iq

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٠/٦/٢٧
تاريخ القبول: ٢٠٢٠/٩/١٥

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

يهدف البحث الى رصد العلاقة بين النص الأدبي والمجتمع، بوصف النص الأدبي بنية أصغر تتولد عن بنية أكبر هي البنية الاجتماعية، ولسعة الظاهرة وقع اختيار الباحث على رسائل الصاحب بن عبّاد وتحديداً رسائل التبشير بالفتوح؛ لاعتقادنا أن النصّ الأدبي للصاحب لم يكن نصّاً خاصاً بين الأديب الوزير وبين ولادة الأمر فقط، إذ وقفنا على بنيات دالة على قصد المؤلف وضعها في النص للدلالة على أن جمهوراً كبيراً من الناس ينتظر بشائر هذه الرسائل، وهذا الجمهور مطبوع على تلقي نصّ أدبي متوافق مع طبيعة العصر العباسي الثاني، هذا العصر الذي تزيّن بطغيان الكتابة البديعيّة. وهذا ما اتسم به أدب الصاحب بن عباد الذي وافق أدبه طبيعة عصره، فكان مرآة تحاكي مجتمعه بكلّ تداعياته وبخاصة التداعيات السياسية.

الكلمات المفتاحية: الصاحب بن عبّاد، دراسة نقدية، علم الاجتماع الادبي.

Abstract:

The aim of the research is to monitor the relationship between the literary text and society. The literary text is described as a smaller structure generated by a larger structure called the social structure. Because this phenomenon is widespread, the researcher chooses the letters of Al-Saheb bin Abbad, specifically the letters that call for the conquests. It is believed that the literary text of Al-Saheb is not a special text between the writer, the minister, and the governors, but it is found that there are structures indicating the intent of the author that targets a large audience of people waiting for the merits of such letters. This audience is accustomed to receiving a literary text compatible with the nature of the second Abbasid era characterized with rhetorical writings. Such is traceable in Al Saheb bin Abbad, whose literature responds to the nature of his era: it is a mirror reflecting his society with all its repercussions, in particular the political ones.

Key words: Al-Saheb bin Abbad , critical study, social structure.

المقدمة:

تطورت الكتابة الفنية في القرن الرابع الهجري، وصار الكُتّاب يُقدّمون على الشعراء تماشياً مع الواقع السياسي والاجتماعي، لذا ظهرت طبقة من الكتاب تعمل في دواوين الخلفاء والوزراء والأمراء لم تكن أصولهم عربية، زاولوا هذه الحرفة وبرزوا فيها لأنهم رقدوا الكتابة الثرية بأساليب الصناعة اللفظية ولاسيما الصناعة البديعية، إذ أغرقوا رسائلهم بهذه الصناعة حتى ذهبوا بالبديع مذاهب لم تعهدها الكتابة قبل هذا القرن، وتحولت لغة النثر من لغة إقناعية إلى لغة شعرية تتوافق فيها الفواصل ويكثر فيها الجناس والطباق والمقابلة وغيرها، وظهر ذلك جلياً عند ابن العميد وفاقه الصحاب والصابي.

وقع اختيار الباحث على رسائل الصحاب بن عبّاد، ونظراً لكثرتها وتعدد موضوعاتها كانت رسائل التبشير بالفتوح زاد البحث؛ لأن الصحاب بن عبّاد حرص على أن يجلب هذه الرسائل صوراً تزيينية مختلفة أبداع في إنشائها ولاءم بين دلالاتها، ولأهميتها فإنها تصنف رسائل ديوانية يُدّاع محتواها بين الخواص والعوام. أما منهج الدراسة فكان علم الاجتماع الأدبي، الذي وجدناه مناسباً لأسباب عدة منها: أن هذه الرسائل، هي بالوقت نفسه، وثائق تاريخية بأساليب جمالية، والأمر الآخر أن في مضموماتها خطاباً موجهاً لفئات كبرى تشكل المجتمع، ولم تكن هذه الرسائل بين الكاتب وولي الأمر فقط، وإنما وجدت لتداع وتشتهر بين الجمهور وهذا ما سوف يثبتته البحث.

إن منهج علم الاجتماع الأدبي يقوم على رصد بنيتين صغرى (سطحية)، وكبرى (عميقة) تمثل الصغرى بنية النص اللغوية تنزاح منها بنية أكبر تمثل المجتمع، وعلى أساس هذا الفهم للبنيتين فإن خطوات المنهج تبدأ بـ (الشرح)، أي: شرح البنات

اللغوية داخل النص وتفسير مجمل عناصر النص الفنية من صور مجازية وبديعية، وصولاً إلى رصد البنية الأكبر التي تشكل (الفهم والتأويل) في ضوء بنية عقلية أو رؤية العالم للجماعة التي ينتمي إليها الكاتب بوصفه جزءاً لا يتجزأ من المجتمع. وعليه فإن هذه الرسائل موضوع البحث احتاجت إلى وثائق تطابقها وتحاكي النص الأدبي، فكانت المدونة التاريخية خير معين لكشف هذه المحاكاة مع اختلاف الأساليب.

فُسمت الدراسة على وفق الصور المختلفة التي شكلت منها، وبهذا قام البحث على مقدمة وأربعة مباحث، إذ جاء المبحث الأول كاشفاً عن صور الأبطال المنتصرين في الفتوح البويهية، ودرسناه باتجاهين الأول تمثل بالصور الجماعية والثاني بالصور الفردية، في حين أن المبحث الثاني توقف عند صور أعداء الدولة البويهية، وجاءت الصور الوصفية لتشكل مبحثاً ثالثاً درسنا فيه المشاهد الوصفية التي رسمها الصاحب، وختمنا مباحث الدراسة بالصور الإشهارية التي مثلت الرغبة الإعلامية للكاتب وكانت تشكل خاتمة كل رسالة من رسائل التبشير بالفتوح، ومن بعد ختمنا البحث بخاتمة لخصنا فيها رؤيتنا في نصوص الرسائل وملاءمة المنهج مع قائمة للمصادر والمراجع المستعملة في الدراسة.

المبحث الأول

صور الأبطال المنتصرين

يتصل هذا المبحث، في حكاية الرسائل، بالأشخاص وأفعالهم، وبما أن موضوع الرسائل هو موضوع حروب وفتوحات، فإن سياق الكلام يتباين بين وصف بصور جماعية ووصف بصور مفردة، وهذا التباين يُرصد من لغة الخطاب؛ لأن الصاحب يقدم أشخاصه في صور جماعية غير متناسٍ دور البطل الفرد في تحقيق الفتح، لذا يمكننا الدخول لهذه الصور من باين الأول: يتمثل في الصور الجماعية للأبطال المنتصرين، ومن بعد نركز على صور البطل الفرد.

أولاً: الصور الجماعية للمتصرين

يطغى صوت الجماعة على لغة الصاحب كلما اقترب من وصف أفعال جنود بني بويه ومآثرهم، دلالة على وحدة الكلمة التي تقود إلى وحدة الفعل، ومن ذلك قوله في رسالة فتح مدينة استرباد^(١): ". . . وأملنا عنه أعنة الخيول إلى باب استرباد المواجه لجرجان برأي صائب سافر. . . وشحناً لجرجان بخيل سربناها إليها. . . وخيّمنا فأعدنا الذكرى على الغار مع الاقتدار، وحذرناه العقبي على قرب الدار، آخذين بأذن الله، عند مقاتلة البغاة، ومقابلة الخوارج العتاة، فحُيِّل إلى المضعوف أن تركنا التسرع إلى قصده. . ." ^(٢)، يلحظ تكرار (نا) المتكلمين في غير موضع من النص (أملنا، وشحننا، خيّمنا، حذرناه. . .) هذا الإلحاح يحيل إلى شخصيات خارج النص، بمعنى أن هذا الوجود هو وجود حقيقي يتمثل بـ "عضد الدولة" ^(٣) وكل من ساهم في هذا الفتح من الجنود، وأن هذا الخطاب يرتبط بذات المؤلف^(٤)، هذه الذات صاحبة الرفعة الاجتماعية والأدبية التي تكتب لتكون كلماتها بين يدي الجمهور، الذي يحاول الصاحب صهره مع نصه بينيته الصغرى "البنية اللغوية" وبوساطتها تحيل تصور المتلقي إلى الواقعة الحربية التي حدثت خارج بنات النص اللغوية هذه البنية الواقعية هي "البنية الأكبر".

إن البنية اللغوية بكل مكوناتها هي بنية اجتماعية صغيرة تشي ببنية أكبر منها اجتماعياً؛ لأنّ بشارة الفتح التي ترسّلت بسببها الصاحب هي بشارة لها مصاديق في كتب التاريخ^(٥)، وإذا ذكرنا التاريخ فإنّ الحادثة قد وقعت بالفعل، لكن الصياغة اللفظية التاريخية تختلف عن الصياغة اللفظية الأدبية فمثلاً نلاحظ أن الصفات المدحية والأخلاقية التي أضفاها الصاحب على جيوش بني بويه لا تنص عليها الصياغة التاريخية في حين أن الأديب ومنهم الصاحب يؤكد لها ويميزها بوصفها خصيصة اجتماعية وإنسانية.

وتطالعنا صورة أخرى توافق سابقتها في الصياغة والأسلوب الفني ولا سيما عندما يصف صور أبطاله فيما يعرف بـ "الفتح الأكبر بجرجان الواقعة بين الخرسانية" ^(٦):
 ". . . فلم يبق من أصحاب جيوشهم إلا من وسمناه بميسم الانفلال، وشهرناه في موسم الضلال، فمنهم من لجأ إلى طاعتنا. . . ومنهم من شرد عن جماعتنا فأنظر غويًا، وقُبض شقيًا. . . واستعدنا إليهم ثوب الطاعة وقد حُرِّبوه، وتجزنا لهم العهد على تلك البلاد وقد حرسوه. . ." ^(٧). نجد في النص جناساً لفظياً في "وسمناه بميسم" دلالة للأثر الذي تركه بأس جنود بني بويه وشجاعتهم، وتخرج الدلالة أيضاً إلى "الكي" الذي يكون آخر الداء ^(٨)، كل هذا يدل على أن انفلالهم من أرض المعركة لم يكن متواضعاً عليه في الحروب بل أراد أن يصور هروبهم بأنه وصمة عار لا تتمحي، وأثرها باقٍ وبادٍ. ولم يكتفِ بالجناس ولكنه وشح نصه بـ (السجع) المطرف لإيجاد بنية إيقاعية منسجمة.

ولا تختلف صور النص الآتي عما سبق، في فتح جرحان أيضاً في قوله: "وقد كنا استخرنا الله - تعالى - في البروز بمعسكرنا المنصور إلى ظاهر جرجان على سمت ^(٩) خرسان مفوضين إليه، معولين عليه، راجين ما لديه، عالمين أن الفلج ^(١٠) بيديه مولين البغي من تولاه، والنكت من اختاره واصطفاه، وقرب المخازيل فكففتنا عنهم إلى أن بدأوا بالقتال ^(١١)، وحسن لهم الطغيان نحو الصيال ^(١٢)، وقد كان طردهم بل حصدهم ممكنا - بعون الله - من أول لقاءهم لولا إيثارنا البقيا في إمهالهم وإمهائهم ^(١٣)، وتقديرنا أنهم إذا مارسوا الحرب فوقدتهم بنارها، وأفذتهم بعوارها. . ." ^(١٤). قدّم صاحب أبطاله وصورهم بصور المحارب الملتزم بقيم الدين والأخلاق الرفيعة، لأنه يعلم أن الرسائل لم تبقى منحصرة بينه وبين أولي الأمر؛ بل إن هذه الرسائل سوف تقرأ على المنابر وفي الساحات للجمهور وهذا نوع من أنواع الإشهار ^(١٥)، هذا الإشهار يثبت

وعياً اجتماعياً قائماً بالأساس بين الجمهور الموالي، في حين أن الجمهور المخالف الذي لديه وعيه القائم بالضد فإن الصاحب ومن خلال لغته ذات الصبغ البديعي يحاول جعل هذا الوعي ممكناً بتغيير نسق تفكيرهم لصالح عقيدة الدولة البويهية.

إن في النص أيضاً من تناسق الألفاظ واجتلاب المعاني، ناتجاً من تكرار السجع الذي مثل نغماً متواتراً، ناهيك عن الجناس في قوله: " إمهالهم وإمهائهم " وفي قوله: " فوقذتهم بنارها، وأقذتهم بعوارها " الذي عزز فيه قصصية الدلالة وتنوعها، ويظهر مقدرته اللغوية وتمكنه من اللغة بوصفه أستاذاً عارفاً جلّ مسالكها وأدواتها. إن البنيات الفنية في النص تمثل البنية الصغرى التي من خلالها يمكننا الانتقال لفهم البنية الأكبر وهي البنية الاجتماعية أو رؤى العالم التي ينتمي إليها الكاتب أو التي يحاول إغراءها وإقناعها^(١٦). هذه البنية تفسرها المدونة التاريخية التي وثقت الحدث توثيقاً تاريخياً، إذ إن كتب التاريخ لم تنفك من توثيق واقعية نص الصاحب، ولا سيما في حرب عضد الدولة البويهي مع قابوس بن وشكمير وتمكنه من إلحاق الهزيمة بهم بعد جولات متعددة حتى خضعت جرجان وأعمالها لسيطرة البويهيين^(١٧).

لقد قصد الصاحب تكثيف صوت البطل الجماعي عندما وقف على أفعال جيوش البويهيين دلالة على القوة والتعالي، هذا التعالي يمكنه من فرض رؤية خاصة عن هذه الجماعة بأفكارها وسلوكياتها.

ثانياً: صور البطل الفرد

كان الصاحب حريصاً على تمييز أسلوب الخطاب بين مكونات المجتمع البويهي مواطنين وجنود، وبين صور حكام هذا المجتمع الذي ميزهم بخطاب يبرز فيه حكمتهم وشجاعتهم التي تعادل شجاعة المجموع، ويجعل من العناية الإلهية ظلاً يرافقهم أينما حلوا، وتمثل رسالة فتح شمال فارس (جرجان) أنموذجاً دالاً لهذا

التمييز: " كتابنا - أدام الله عزك - من المعسكر بظاهر استرباذ، وقد أنزل الله علينا النصر وسهل لنا بعلو جدّ مولانا الملك السيد^(١٨) العلو والقهر... وتلك النعمة عند مولانا الملك السيّد^(١٩)، إذ عضدّ الدولة، وتوّجّ الملة، وحرس الأمة، وزحزح الغمة، ورفد الخلافة، وبسط العدل والرافة، وطهّر البلاد، وعمّر الحجّ والجهاد، وساس الجمهور، وسدّ الثغور. فشهدت فتوحه بأنه مؤيدٌ من عند الله... لا ينازع رأيه منازع إلاّ تُلّ^(٢٠) لجبينه وعوجل بقطع وتينه^(٢١). ولا يمانع رايته بمنع إلاّ غلّت يده دون مطلبه، واقتطع أمدّه عن مهره... " ^(٢٢). إنّ بنية النصّ الكلية بنية تفخيم وإجلال لشخص عضد الدولة وأفعاله، لذا وشح بنيات النصّ الصغرى بفيض من الزخرف البديعي ولاسيما " السجع " الذي أحدث تنغيماً صوتياً يجذب النفوس، ولم يأتِ الصاحب بالسجع خاصة أو البديع بصوره المتعددة عامة لولا بصيرته بالمتلقي، الممدوح أو المتلقي الجمهور، إذ كلُّ منهما يطرب لهذا الأسلوب الذي يمثل نسقاً ثقافياً في عصر الصاحب، الذي أراد أن يرسخ رؤية مجتمعية مع المحافظة على الوعي القائم عند الرعية وكذلك عند عضد الدولة بوصفه رجل الدولة الأوحد وحارس بيضة الإسلام والأمة عند جمهوره الذي يجب عليه أن ينظر لحاكمه نظرة ثابتة لا تتغير. و الصور الاجتماعية في نص الصاحب لا تخالف الصور التاريخية كثيراً، إذ تشير المصادر إلى أن " عضد الدولة " عُرف بحسن السياسة ورجاحة العقل فكان يلقي الحجة على أعدائه قبل الشروع بقتالهم ولاسيما في معاركه مع قابوس بن وشكمير إذ كان دائم التذكير له بالعهود والمواثيق معه ومع آبائه^(٢٣)، وفي ذلك يقول الصاحب: " ومولانا الملك السيد في كلّ ذلك يُولّيهِ صفحَةً صفحه، ويوليه العفو من عفوه، فيتجاوز عنه حلماً، ولا يتجاوز به التنبيه كظماً، ونسلك فيه المذهب ونعتمده، ونحدّره في أثناء الإغضاء ونُرشدّه، رجاء أن يتنزع^(٢٤) أو يتنزع^(٢٥)، أو يقلع أو يرتدع.

.. " (٢٦) ، في النص بنيات دالة منها " يوليه صفحةً صفحته " وفيها جناس ناقص في آخره، إذ يريد الصاحب بـ " الصفحة " أن عضد الدولة يعرض عن قابوس ويدير وجهه عنه بوصف ذلك نوعاً من الحكمة المتعالية، أما قوله " صَفْحَه " فإن دلالتها تخالف الأولى؛ لأن المقصد في ذلك يشي بـ " الكرم " والمراد من المعنى الثاني أن " عضد الدولة " يصفح عمن جنى عليه، وهذه صفات أولياء الله الصالحين وبديبي أن يضع الصاحب عضد الدولة مع هؤلاء الأولياء؛ لاعتقاد الصاحب أن أناته مع تمرد قابوس، كانت نوعاً من الخلق المتفرد والكرم الفائق (٢٧). ومن هذه البنيات في النص أيضاً قوله: " ويؤليه العفو من عفوه " فالعفو الأولى أراد بها الصّفْح، والثانية أراد بها الكرم، وكلّ هذا الكرم والتجاوز عن ذنوب قابوس لم يأت من خوف أو ضعف وإنما هو كرمٌ وحُلمٌ (٢٨).

وإذا فتحنا المدونة التاريخية التي ترجمت ودرست شخصية عضد الدولة البويهى فإنها تصفه بأنه كان يمثل صورة الحاكم تمثيلاً حقيقياً، إذ كان يتصف بالحكمة والسياسة الراجحة تجاه أعدائه - وهذا ما أراد تصديره الصاحب - لكن المصادر نفسها تتحدث عن قسوة الرجل. هذه القسوة هي التي سيّدت على قومه، حتى أن جُلَّ عماله كانوا يخافون من قسوته، وسياسته هذه كانت سلوكاً ومنهاجاً لأمرائه ووزرائه ومنهم شقيقه مؤيد الدولة الذي كان الصاحب وزيراً له (٢٩).

إذن ثمة تباين بين صورة الصاحب الفنية وبين صورة التاريخ، وعليه لابد من تفسير لهذا التباين يتجلى في ماهية الأدب نفسه الذي يرى من نظَر في علم اجتماعه: أن الآداب " مرآة للواقع، معناه أن لا تكون من الواقع نفسه حتى يمكن أن تتلقاه من الخارج... إذن يفترض أن تكون الآداب جزءاً من الواقع وظاهرة من ظواهره " (٣٠).

أي أن رسائل الصاحب قد لا تطابق الواقع تطابقاً تاماً، ولكنها تحاكي الواقع

وتعكسه ليكون جزءاً من الأدب؛ لأنَّ الأديب كائن اجتماعي لا حياة له خارج المجموعة البشرية التي ينتمي إليها. وبين رسائل صاحب وما سرده كُتَّاب المدونة التاريخية عن صفات عضد الدولة، لا بدَّ للصاحب وهو أحد وزرائهم أن يحاكي الواقع في أدبه بما يتوافق ومزاج ولي الأمر الموجهة إليه الرسالة.

وللصاحب رسالة بشارة في (فتح قلعة) لم يسمها، إذ صَوَّرَ في بعض مضان رسالته بطولات عضد الدولة وشقيقه مؤيد الدولة في فتح تلك القلعة، قائلاً: "... فلما غشَّها سيدي^(٣١) هولة الانتقام، وولاها جانب الاصطلام^(٣٢) انحلت بساكنيها معاقدها، وزلزلت عليهم قواعدها، فمُلكتُ قسراً، وألبسوا ذلاً وقهراً. وتلك عادةُ الله عند مولانا^(٣٣) في أوليائه وأعدائه وتابعي رايته ومخالفِي رأيه، وعِدته للأمر^(٣٤) في الواقفين مع أمره، والصادقين عن رسمه... وسيدي سيف الضريبة وليث الكتيبة. . . وحاز منية الطالب، وبغية الراغب"^(٣٥)، وفي الرسالة نفسها يتواصل حديث الصاحب عن قلعة أخرى كان لها نصيب من هذا الفتح في قوله: "والقلعةُ الأخرى إذا صرَّف مولاي أهلها بين خشونة إيعاده^(٣٦)، ولين ميعاده^(٣٧)، وأراهم يريق حسامه، مشفوعاً بروق^(٣٨) إنعامه، لم يلبثوا أن يسلموها خاشعين، ويستسلموا لأمره متتابعين، اللهم إلا أن تكون الشقوة عليهم مكتوبة، والحتوف مصبوبة، والمتالف لهم راصدة، وإليهم قاصدة. . ." ^(٣٩)، في النصين تأكيد على إيراد جمل فعلية متكررة "غشاها، انحلت، فملكت، وألبسوا، وأراهم" وهذا التكرار للجمل الفعلية هو تضخيم للحدث وتهويل الواقعة للمتلقي ناهيك عن أن الجمل الفعلية وتكرارها يدل على الحدوث والاستمرار. ولم تنفك جملة الصاحب حتى تتزين بالسجع: "غشَّها، ولأها، الانتقال والاصطلام، معاقدها وقواعدها"، والجناس الذي اجتلبه بصور ودلالات متعددة "قسراً وقهراً، إيعاده وميعاده، راصدة وقاصدة. . ."

ولم يغادر الجناس حتى طابق بين الشيء وضده: " أوليائه وأعدائه، وتابعي رايته ومخالفني رأيه " ومن بعدُ قابل: " وحاز منية الطالب، وبغية الراغب^(٤٠) " فالطالب والراغب متوافقان بالمعنى مختلفان في اللفظ " وفي الجناس والسجع والازدواج موسيقى تأنس بها النفوس وتطرب لها الآذان^(٤١). إنَّ الرسائل لم تكن يكتبها الأديب للخاصة، بل كانت تكتب للجمهور وهذا الجمهور لو لم يكن يرغب في هذا التصنع والتكلف اللغوي لما غامر أديب حصيد مثل الصحاب بشهرته الاجتماعية والأدبية، الذي اجتهد كثيراً في علو شأنها.

إن النصين اللذين اقتبسناهما - في صورة البطل الفرد - لهما مصاديق في كتب التاريخ، إذ تشير هذه المصادر إلى أن القلعة التي راسل الصحاب عضد الدولة في فتحها هي قلعة " سنده"^(٤٢)، ويذكر ابن الأثير في تأريجه أن عضد الدولة مَلَكَ هذه القلعة وغيرها من القلاع: ". . . استولى عضد الدولة على قلاع أبي عبد الله المرّي بنواحي الجبل وكانت منزله بسنده، وله فيها مساكن نفيسة. . . فقبض عليه وعلى أولاده واعتقلهم، فبقوا كذلك إلى أن أطلقهم الصحاب بن عبّاد فيما بعد، واستخدم ابنه أبا طاهر، واستكتبه، وكان حسن الخطّ واللفظ"^(٤٣).

والصاحب كغيره من كتاب عصره يحاول كدّ ذهن متلقيه بنوع من الغموض، لكنه لا يتركه في تيهٍ دائم حتى يضع إشارات تمكن المتلقي من هذا الغموض، إذ إن الرجل لم يسم هذه القلعة وإنما هناك دلالات في نص الصحاب مكنتنا من رصد اسمها في قوله: ". . . فصمد له من أمر القلعة التي استودعها أولاده ومستحفظها عتاده"^(٤٤)، وقوله أيضاً: " والقلعة الأخرى. . . "^(٤٥)، وبمقارنة نصّ الصحاب مع نص ابن الأثير نجد أن هناك تطابقاً بين النص الأدبي والتاريخي.

وللصاحب رسالة في جواب بشارة بتذلل الروم وطلبهم الهدنة^(٤٦)، استهل مطلعها بالثناء والدعاء لـ "عضد الدولة" قال فيها: "وصل إلى خادم^(٤٧) مولانا الملك السيّد - أطال الله بقاءه - ما شرفَ بالمكاتبة فيه من نبأ النعم التي كتب الله له أثبتها أساساً، وسهّلَ لِحَدّه^(٤٨) أشرفها أغراساً، حتى لا تتوجّه من هممه^(٤٩) العالية همّة إلى أعظم مرقوب إلاّ أطاع ودان، ولا يمتدّ عزائمه الماضية عزيمة إلى أفخر مطلوب إلاّ كان واستكان تكفلاً منه - تعالى جدّه - بجمع الذخائر لديه، وقصّر المعالي والمآثر عليه، وآية نصبها للعيون المبصرة، والعقول المتصورة في أنّ الدنيا له - أدام الله سلطانه - أنشئت أقاليمها وأمصارها، وإلى أمره مصيرها، وعلى حكمه مدارها، فمن استشعر التسليم، وسلك السراط المستقيم، فذاك أمرٌ انحلت ربقة^(٥٠)، وربحت صفقته، ومن تقاعد عن مالك الدهر، وتقاعس عن ولي الأمر، فالحتفُ له بالمرصاد، والهلكُ منه على ميعاد^(٥١)، لم يختلف أسلوب صاحب في هذا النصّ عن غيره في ولعه بالتزييق البديعي، وفي هذه الصورة تتكرر صور البديع جناساً ومقابلةً ومطابقة، إلاّ أن المفارقة في هذا النص تتجلى في كثر الجمل الاعراضية التي قصد فيها تقوية وتسديد الكلام تحسیناً وتعظيماً لمن وُجّهت له الرسالة؛ لأنّ هذه المدرسة تنزع عن عروق فارسية عريقة، فقد نقلت إلى العربية تقاليد الكتابِ الفرس في مخاطبة الخلفاء؛ لأنهم كانوا يغرقونهم في ألقاب التعظيم والتفخيم تزلفاً وتملقاً، كما كانوا يعترضون في رسائلهم بالجمل الدعائية، ثم خطوا في هذا السبيل - سبيل الخضوع والتزلف - خطوةً أوسع فلجأوا في مخاطبة الخلفاء والأمراء كناية بدل التصريح بأسمائهم وألقابهم تنزيهاً لها عن التلفظ^(٥٢). وهذه الصورة - التفخيم والتعظيم - نجدها في غير موضع من رسائله عامة وفي هذه الرسالة أيضاً في قوله "قصر المعالي والمآثر عليه" وجعله آية من آيات الله: " وآية نصبها للعيون المبصرة. . . " جاعلاً

الدنيا ملكاً له: " . . . الدنيا له أنشئت أقاليمها وأمصارها . . . "، ولا يتوقف التعظيم حتى عدّه مالكاً للدهر وولياً للأمر.

ويبدو لي أنّ كثرة الجمل الاعترافية في النص يعود لخصيصة هذه البشارة نفسها، لأنه فتحٌ لم يأت بحربٍ جيشين كما في الفتوح الأخرى، وكان الصحاب يريد إقناع المتلقي الفرد أو الجمهور أن الخوف والرهبة من بطش وقوة عضد الدولة وجيشه هما اللذان أجبرا الروم على قبول الهدنة ويمثل هذا الأسلوب ترسيخاً لوعي قائم عن هالة العظمة التي يتمتع بها الحاكم الفرد، وبالوقت نفسه هو رسالة لأعداء عضد الدولة الآخرين.

والمتصفح في كتب المدونة التاريخية التي عنيت بالحدث الذي ترجمه الصحاب أدباً، يجد أن كتاب " ذيل تجارب الأمم " ذكر هذه الهدنة، إذ ورد فيه أنّ السبب في هذه الهدنة هو دخول الروم بعض بلاد الإسلام بقيادة " ورد الرومي "، الأمر الذي أخاف ملك الروم من غضب عضد الدولة الذي بادر إلى إنفاذ رسول إلى عضد الدولة في هذا الأمر للتفاوض إلى أن تمّ الأمر لعضد الدولة، وقبول ملك الروم بشروط خصيمه، بالتخلي عن أراضي المسلمين التي كانت في كنف اتباعه^(٥٣).

وفي رسالة بشرى تضمنت فتحين معاً، الفتح الأول ضدّ الحمدانيين، والثاني ضد بني شيبان، يستهل الصحاب مطلع هذه الرسالة بالتمجيد والتعظيم لمقام الخليفة في بغداد ابتداءً: " كتابي، وإذا عدّدت النعم لتحصّل مواقعها من العظم، وتميز مراتبها في المنح والقسم . . . وأحقها بأن يتصل له الشكر فتعم جواده، ويدوم عنها الحمد فلا تنقطع موادّه، نعمة الله عند أمير المؤمنين فإنه - عزّ أسمه - جعله رايته العليا، وآيته الكبرى، ونزّه ما أولاه عن أن تسعى إليه الأوهام فتدركه، وأجلّ ما حباه أن تعلق الأمانى فتملكه، ونصّب الأيام والتواريخ لما يعزّ من نصره . . . " ^(٥٤).

ألحّ الصاحب، في هذا النص، على الوظيفة الاجتماعية من سياق المدح والتعظيم ففي قوله: "... ويقابل كلّ منها بما يطاق شكراً يفاض فيه، ونشراً يشاد بمعالیه" وكذلك في قوله: "وأحقها بأن يتصل له الشكر فتعم جواده"، ف"النشر، والإشادة، والاعمام" وسائل اجتماعية تحاكي المجتمع؛ لأن هذه النعم - على زعم الصاحب - لابدّ من صدى لها في المجتمع ويرتدّ هذا الصدى على شكل "شكر" مستفيض من لدن الرعية للخليفة لا ينقطع، وهذا الشكر يسبقه حمد دائم لا تنقطع أسبابه لله "عزّ اسمه": "ويدوم عنها الحمد فلا تنقطع مواده...". والصاحب هنا كان دقيقاً في وضع الألفاظ على وفق دلالاتها فجعل الشكر بين العباد أنفسهم، وغازياً الحمد لله وحده في السراء والضراء وهذا تصرف متقن بالصناعة اللفظية.

أما بعد أن جعل التعظيم والثناء للخليفة في بغداد عتبة نصية فإنه يشنّى بتعظيم عضد الدولة البويهی "وصولاً لموضوع الرسالة الذي نوهنا عنه، إذ يقول: "... وقد عرّف الله الكافة ممن نهض به فحصبه^(٥٥) وتنقيره^(٥٦)، أو قعد به عجزه وتقصيره. . . ورفع قواعده ومبانيه، بمن انتضى دون الخلافة سيفه فصدق رجاءه ومضاهه. . . وشغل بالزيادة عن المسلمين عساكره، فخیر له الاختيار، وهو مولانا الملك السيد فما يقصد وعراً إلاّ أض^(٥٧) سهلاً، ولا يحكم عقداً إلاّ استعاض حلاً، ولا ينادي بلفظه مصرراً إلاّ أجاب بالتسليم، ولا يناجي بفكره صقماً^(٥٨) إلاّ دان لبأسه العظيم. . . وكنت عرّفت سيدي حال ابن حمدان حين نفتته الأرض عن مناكبها. . ." ^(٥٩).

تتسید في هذا النص الثنائيات الضدية وتتبع هذه الثنائيات مباحث علم البديع، ونجد ذلك في قوله: "فحصبه وتنقيره، عجزه وتقصيره، طرائق ومجاري، قواعد ومباني، يقصد وعراً إلاّ أض سهلاً، عقداً وحلاً. . ."، وتأسيساً على هذه الثنائيات فإنها تعدّ باعثاً من بواعث التناقض والجدل الذي كان شائعاً في مجتمع الصاحب

وعصره، أما عن الجو الذي كتبت فيه هذه الرسائل فلم يكن جواً مستقراً بل كان قائماً على الأزمات والحروب التي تقود إلى تناقضات اجتماعية^(٦٠) تنعكس على الأدب نفسه؛ لأن الأدب " هو تصويرٌ للأزمات التي تتمخض عن اصطدام قوتين متضادتين: أحدهما موضوعية والأخرى ذاتية"^(٦١)، إن الموضوعية تتجلى بالتزام الصاحب في مراعاة الواقع السياسي والاجتماعي، أما الذاتية فترتبط بالصاحب نفسه بوصفه أديباً يطمح باستعراض مقدرته اللغوية والبيانية، ولا سيما أن اللغة وفنونها كانت مادة رزقه وعلو شأنه.

إن التمجيد والتعظيم لصورة الخليفة في بغداد وصورة عضد الدولة البويهبي لم يكن تعظيماً لغوياً يقوم على بناء فني فقط بل إن المدونة التاريخية نصّت على حرب عضد الدولة لأبي تغلب بن حمدان واستيلائه على ملك بني حمدان وصولاً لقتل أبي تغلب. وكلُّ هذه الأحداث جرت في خلافة الطائع الذي كان حليفاً للبويهبيين^(٦٢).

أما موضوع الرسالة الآخر فنجدته يتصل ببشرى أخرى وافقت بشرى هزيمة (ابن حمدان)، وسمت بهزيمة بني شيبان إحدى قبائل العراق التي تحالفت ضد عضد الدولة، فيقول الصاحب في أمرها: ". . . وذلك أن بني شيبان كان شرّها استفحل^(٦٣) وداؤها أعضل^(٦٤)، بعجز من تقدم من الولاة عن رميها بأحجارها، ومحو آثارها. . . فلما عاد الملك السيّد إلى مقرّ عزه من دار الإمامة، وجوار الخلافة^(٦٥)، جهّز إليها من مقانب^(٦٦) النصر، وجيوش الكفاية والقهر. . . فأبى الله إلا أن يذيقها وبال ما ارتكبت. . . وحسبت ترك المعارف إلى مجاهل يقيها ما أظلمها، والإيغال في المسارب والمهارب يحميها ما أقلّها، فجدد الأولياء في طلبها^(٦٧). . . وطهر الله البلاد من أدناسها. . . فالحمد لله، ثم الحمد لله، ما دام الحمد منطوقاً به وملفوظاً، وكان الشكر لازماً ومفروضاً^(٦٨)، إذ مهّد لأمر المؤمنين الخلافة فعظم دلائلها. . . وعضدها من

الملك بحافظ عزّتها، وتاج ملّتها وسائس أجنادها، ورافع عمادها، ومذلّ من نكبّ عن محجّتها وصدف^(٦٩) ومال عن قبلتها وانحرف. . . " ^(٧٠). لا تكاد الصناعة البديعية تفارقنا ولاسيما " السجع "، لكن في هذا النص نجد أن الصاحب يلجأ إلى المقابلة في غير موضع ومن ذلك قوله: ". . . كان شرّها استفحل، وداؤها أعضل " في النص طرفان أو جملتان الأولى جاءت بمعنيين متوافقين من جهة البناء، والجمله الثانية قابلتها إذ جاءت بمعنيين متوافقين أيضاً على الترتيب نفسه؛ لأن الاستفحال أراد به (تفاقم الأمر) وجاء متوافقاً مع الشرّ، والحال نفسها عند جعله الشرّ داءً شديداً لا علاج له، حتى أن الولاة قبل عضد الدولة عجزوا عن كبح شرّ هؤلاء القوم (بنو شيبان)، ونجد المقابلة أيضاً في قوله: " جهّز إليها من مقانب النصر، وجيوش الكفاية والقهر " فقابل كثرة الخيل المجهزة للقتال بقوة الجيوش القاهرة لهذا العدد، والحال نفسها في قوله: " ومذل من نكب عن محجّتها وصدف، ومال عن قبلتها وانحرف. . . " .

إنّ التأنق في الصياغة واختيار الألفاظ وحسن التنسيق، هي مقومات ضرورية في فنّ الرسائل الأدبية، ولاسيما في بيئة الصاحب وعصره، وهذه المقومات هي ما تميز الأديب صاحب القلم الأخاذ من غيره^(٧١)، الذي دفع الصاحب إلى أسلوب التزييق هو طبيعة العصر وشغف الكتاب والمتلقين الذين يمثلون قاعدة اجتماعية اعتادت أذنانها سماع الألفاظ المنسقة والمتجانسة والمتوازنة^(٧٢).

أما الأثر الاجتماعي لحرب عضد الدولة فالمصادر التاريخية أشارت إلى أن هؤلاء القوم كانوا " مستعصين قد تعودوا النهب والغارة والتلصص وأعيت الحيلة في طلبهم وذاك أن لهم خيولاً جياداً يعولون عليها في الهرب إذا طلبوا، فكانت سراياهم تبلغ في الليلة الواحدة ثلاثين فرسخاً وربما زادوا على ذلك، فيمسون بموضع

ويصبحون على هذه المسافة البعيدة... ولا يصح للسلطان خبرهم... " (٧٣)، حتى جهّز عضد الدولة جيشاً وسيره لهم، وتمكن من هزيمتهم " وأوقعوا بهم وقعة عظيمة قتل من بني شيبان خلق كثير، ونهبت أموالهم ونساؤهم، وأسر منهم ثمانمائة أسير وحملوا إلى بغداد " (٧٤)، وعند مقابلة المتن الفني مع المتن التاريخي نجد أن النص الفني ليس بمنعزلٍ عن واقعه الاجتماعي مع فارق الأسلوب والصناعة اللفظية واجتلاب المعاني بينه وبين النص التاريخي، لذا نرى الأثر الاجتماعي بارزاً في هذه الرسالة وفي غيرها من رسائل الصحاح فكان نصُّ الصحاح مرآةً تعكس الواقع ولا تطابقه.

نخلص من أن صورة البطل الفرد التي رسمها الصحاح امتازت بالغلو والتعظيم، ولاسيما عندما يقف على ولاة أمره، فمثلاً عندما يقف على عضد الدولة فإن الصحاح يجعل من الرجل شخصية أسطورية ذات قدرات عجائبية وغرائبية و كل ذلك يجري بانتقاء بنيات لغوية مقصودة الدلالة، تنمُّ بخزين معرفي وثقافي ناهيك عن موهبة متميزة في صناعة الترسل شكلت ظاهرة أدبية و فتحت جديلاً نقدياً في حلقات الدرس الأدبي قديمه و حديثه

المبحث الثاني

صور العدو المنهزم

الأعداء وصورهم في رسائل الصحاح هم المخالفون والرافضون لحكم بني بويه، بمعنى أن صور الصحاح هي صور ملتزمة التزاماً تاماً بسياسة أسياده، ومن هذه الصور: " ومن تعرّض للورطة العظمى من سخطه وإنكاره (٧٥)، وتهوُّك (٧٦) في الخطة الكبرى بمخالفة أعوانه وأنصاره خذلت يمينه شماله، وباينت أعضاؤه أوصاله، وكان في الأشقيين مكتوباً، و للقم و اليدين مكبواً، لا يسعى خلاصٍ إلاّ تعرّث في أذباله، وتكوّر في ضلاله، و عاد اجتهاده بوراً، و احتياله هباءً

منثوراً، ليكونَ ما يؤتَى الله تابعي حكمه، و المتقادين لرأيه وهمّه، أقوى الدواعي إلى حسن البصيرة، والازدياد من خلوص السريرة، وما يحلّه بمشاقّي أوامره المتبوعة، ومفارقي ألويته المرفوعة، أوكدّ الزواجر عن خرق جماعته، وأوضح الفروق بين أهل معصيته وطاعته" (٧٧). هذا النص مطلع رسالة للتبشير بالنصر على ابن حمدان وبنّي شيبان، إلا أن الخطاب هو خطاب عام، بمعنى أن الخطاب لم يكن منوطاً بهذين الفتحين فقط؛ بل إنّ الصاحب قصد من خطابه (الاستعلائي) نسقاً اجتماعياً من التفكير يفرضه فرضاً بشروطه على زمرة من الناس، بدلالة هذه البنيات: " ومن تعرض للورطة العظيمة من سخطه وإنكاره، بمخالفة أعوانه وأنصاره. . . . باينت أعضاؤه أوصاله، لا يسعى لخلاص إلاّ تعثر في أذياله". في هذه البنيات قصديّة مضمرة غايتها ترسيخ وعي اجتماعي قائم وكبح أي انتقال في التفكير إلى الوعي الممكن الذي لا يريده الصاحب الملتزم في أدبه وواقعه بالدعوة والنصرة للفئة السياسية المتتمي إليها وينعم بنعيمها، وبهذا يتحول هذا الخطاب من بنية فنية إلى نمط اجتماعي سلوكي يرسخ رؤى العالم.

وفي رسالة فتح أذربيجان فإن الصاحب يسرد وقائع هذا الفتح برسالة للديوان البويهبي (٧٨) يصور فيها حال أعداء الدولة، قائلاً: ". . . وقد كنا أعلمناك - عند ذكرنا حال إبراهيم بن المرزبان (٧٩) في انتقاض عزمته واستمرار هزيمته، واستنقاذ الأجل ذمائه (٨٠) من ظبي (٨١) السيوف وقد شارفته، وشبا (٨٢) الختوف وقد شافهته. . . . قد احتملته رياح الخيفة (٨٣)، ومهابة الزانات المطيفة (٨٤). . . أن (وهسودان بن محمد) قد طالت للدولة العالية مداجاته (٨٥)، ودامت لأوليائها مماراته (٨٦)، يوهم متى ضُغط، طاعةً يضمّر خلافها، ويثير متى أهمل، فتنةً يستدرّ أخلافها، متردداً بين مكائد ينصبها فتية إليه بتبار (٨٧) وتشتمل عليه بدمار، وتوبقه في خسار. . . وإنّا

عازمون على تحميلة أُنقال المعاقبة، وتعريفه آيات سوء العاقبة. . . " (٨٨).

أولى المفارقات التي استوقفتنا في هذا النص، أنه أطال الفاصلة بجملة اعتراضية بين " أعلم " و مفعوليهما، و الجمل الاعتراضية يأتي بها الكاتب لتوكيد الكلام وتقويته وتحسينه، و الاعتراض عند النحويين لا يكون إلاّ جملة تامة^(٨٩). وهنا يقوم على جمل متعددة شرح فيها الصحاح حال حليفهم " إبراهيم " بعبارات ومعانٍ تكدّد الذهن استعرض فيها مقدرته اللغوية في جلب المعاني والمواءمة في الألفاظ، فاستعار مصطلح " طُبي السيف " للدلالة على الضرب، و " شبا الحتوف " للدلالة على علوها، ناهيك عن الجناس في قوله: " عزيمته وهزيمته، وشارفته وشافهته، وفريداً وطريداً، والمعز والمقر ".

لقد شكلت الجملة الاعتراضية الطويلة بنية النص الداخلية للدلالة على القوانين المتحكمة في بناء جمل النص، وبعد إتمام الجملة الأصلية يتطلع الصحاح لتبيان البنية الابدولوجية العميقة متمثلة بالخلاف الذي قامت بسببه الحرب، هذه البنية " العميقة " تفسر البنية الداخلية " السطحية "، وهذا النص هو نتاج اجتماعي تاريخي يفصح عن طموحات فئة اجتماعية تحاول فرض وعيها على المجتمع و القارئ؛ لذا يلحظ من يغادر البنية السطحية للكشف عن البنية التاريخية " العميقة " أن الأخيرة تتطابق مع البنية اللغوية من جهة " الفهم " للأحداث والأفعال والزمان الحقيقي، فهزيمة إبراهيم و من ثم نصرته البويهيين له كلها بنيات تاريخية عنيت بها المدونة التاريخية، إلاّ أن النصّ الأدبي سبق النص التاريخي من جهة الزمن؛ لأن توثيق الفتوح في الرسائل الديوانية كان يتزامن مع الواقعة أو بعدها بقليل.

أما في بشارة "الفتح الأكبر بجرجان الواقعة بين الخراسانية" فإن صورة العدو تنقسم على قسمين: الأولى عند المواجهة و الثانية بعد طلب العدو الصلح

والاستسلام، فالصورة " المفردة " للجنود الأعداء جاءت على النحو الآتي: " يُجْهَزُ جِيوشَهُ إِيْنَا فِيْهَزْمُ، وَيُسْرَبُ خِيَوْلَهُ فَتُحَطَّمُ، وَيَحْشُدُ جَمِوعَهُ فَتَفْرُقُ كُلَّ مَفْرِقٍ، وَيَحْشِرُ جُنُودَهُ فَتَمْرُقُ كُلُّ مَمْرِقٍ... " (٩٠).

في النص استخفاف و استصغار لمجاميع جيوش العدو ففتحهم بصيغة المفرد، لكن الحدث في كتب التاريخ جاء بصيغ سرديّة متوازنة بين طرفي الصراع، أي لا مدح فيه ولا ذم و ابن الأثير نقل الواقعة بتجرد تام، و خلافاً لذلك فإن الخبر في رسالة صاحب جاء بصورٍ اتخذت من الواقع مرتكزاً و انزاحت به نحو التصوير الفني قصد المبالغة و الإشهار للذين يخلدان الفتح ويعليان من شأنه أكثر و أبلغ من السرد التاريخي، فيكون خطاب الرسائل الأدبية أقدر على النفاذ للبنية الاجتماعية الموالية و يرسخ و عيها القائم، أما المعادية أو المتفرجة فإن هذا الخطاب يُرجى منه أن يحرك و عيها القائم ليُحوّله إلى و عي ممكن يبلور رؤيته للعالم.

إن صورة العدو التي تقصّد صاحب أن يجعلها صورة مفردة تحولت عندما طلب العدو نفسه الصلح من البويهيين، أي تحولت صيغة الخطاب من الصيغة الفردية إلى الصيغة الجماعية، وهذا التحول في الخطاب جاء مرتكزاً على تغير البنية العقديّة للعدو عندما طلب الصلح، إذ تشير المدونة التاريخية أن " وشكّير " مات في أثناء الواقعة و قام ابنه مقامه في الحكم " و راسل ركن الدولة و صالحه، فأمدّه ركن الدولة بالمال و الرجال " (٩١)، و هذا ما وثقه صاحب في رسالته: " و أخذوا يعرّضون بطلب الصلح فنعرض امتحاناً لعقائدهم... إلى أن صرّ حوا بعد التعريض، و صحّحوا بعد التمريض. فجنحنا للسلم حين جنحوا لها إذ كان ذلك أدباً من آداب الله و أمراً نصّاً في كتاب الله (٩٢)... " (٩٣)، نلاحظ تحول صيغة الخطاب إلى الجماعية " صرّ حوا، صحّحوا، جنحوا "، بعد توافق العقيدتين، و من صيغة الخطاب نرى أن

الصحاب أراد أن يؤسس قاعدة أخلاقية إسلامية لحزبه تتوافق مع الرؤية الدينية التي يمكن من خلالها اختراق البنية الاجتماعية وإقناعها. من خلال اللغة وفضاءاتها الواسعة حاول الصحاب بناء عالم من الأصوات الاجتماعية التي تتفاعل وتحاكي الفضاء العقدي الذي من أجله تقوم الحروب؛ لأن مهمة الكتابة الفنية إعادة رسم الصور الواقعية بأدوات لغوية مزوجة بخيال كاذب وصور بلاغية بما لا يتطابق تطابقاً فعلياً مع الواقع المعيش؛ بل بما يحاكيه ويعكسه لتسويق الصورة الفنية للجمهور الذي يتفاعل مع أساليب الصياغة اللفظية.

المبحث الثالث

الصور الوصفية

ثمة صبغة سردية في رسائل الصحاب الديوانية، ففي عموم رسائله يحاول عرض الحادثة عرضاً متسلسلاً زمنياً يتوافق مع السرد القصصي المتصاعد، إلا أن هذا السرد المتصاعد في عرض الحوادث لرسائل التبشير بالفتوح يتوقف ويتحول الحدث لديه إلى قصة قصيرة فيها رؤية وصفية تتشكل منها صور مشاهد تجانب الواقعية، تخضع هذه الوقفات الوصفية لأنظمة القص التي تحاكي الواقع، وعندما يضمّن الكاتب في رسائله لابد أن يكون جمهوراً يرغب فيها لأدبيتها؛ لأنّ الوصف في الدراسات السردية يقوم " بعمل تزييني وهو يشكل استراحة في وسط الأحداث السردية " (٩٤)، ويقوم أيضاً بوظيفة " توضيحية أو تفسيرية أي تكون للوصف وظيفة رمزية دالة على معنى معين في إطار سياق الحكيم " (٩٥)، و في رسالة تبشير بفتح استرباذ وجرجان شمال فارس وانتزاعهما من قابوس بن وشكمير عدو الدولة البويهية الذي وصفه الصحاب بـ " الغامط " (٩٦)، يقول: " وأطاع الغامط أذهب وجهه مع الغرة، وأفضاها بالشقوة المستمرة، وأقدم على المساورة، وحض أصحابه

على المصابرة" (٩٧). هذا النص جزء من السرد التصاعدي الذي يحكي الأحداث المتسلسلة، لكن السرد يتوقف عندما يبدأ الوصف في قوله: " وخفَّ الأولياءُ إليهم فخيّلت الجبال سائرة، والبحار ثائرة، والأسلحة تبصُّ (٩٨) عليهم لمعان الشموس، وتروّع أطباق القلوب قبل إزهاق النفوس، وشاهد المخاضيل منهم ما أطار العيون عن حجاجها (٩٩)، وأطاح القلوب من انزعاجها، وشمرت الحرب عن ساقها، وتنمّرت بحمرة أحداقها. . . ومليك عليهم الخندق (١٠٠) بعد أن جعل قتلهم معابر وجرحهم قناطر. . . " (١٠١).

في النص وقفة وصفية رسمت مشهداً خيالياً لمسرح أحداث المعركة، فرسم الواقعة رسماً لغوياً اعتماداً على بنيات دالة " بنية صغرى " مثلت في هذا النص الوظيفة التزيينية المتشكلة من تقنيات علم البديع الذي يساهم بتشكيل خطاب جمالي، هذا من جهة. ومن جهة ثانية ثمة وظيفة رمزية واجتماعية يمكن تأولها من سياق النصّ الذي - كما أشرنا - لم يكن نصّاً خاصاً بين الكاتب وولي الأمر، تتمثل برغبة الكاتب ذيوع رسائله بين الجمهور على اختلاف انتماءاتهم السياسية والفكرية، ولكي يكون أكثر تأثيراً لا بدّ من جعل اللغة المستعملة في خطابه لغة شاعرة، بلحاظ أن اللغة الشاعرة أكثر تأثيراً في النفوس و أرسخ في الذهن، و صاحب هذه الوقفة الوصفية أخرج رسائله من دائرة الأدب التوثيقي إلى الأدب العجائبي و الغرائبي، فصور مثل: " فخيّلت الجبال سائرة، والبحار ثائرة، وجرحاهم قناطر. . . " فيها دلالات رمزية تتفاعل مع عواطف ومشاعر المتلقي (الجمهور) الذي لم يكن شاهداً على الأحداث الحقيقية للمعركة، و صاحب هنا يريد أن يرسم للواقع صوراً من خلال رؤيته هو " وإن كانت دالة على طبقته وجماعته وموقعها من التاريخ " (١٠٢).

وفي وصف حال الحمدانيين في حربهم مع عضد الدولة، يرسم مشهداً جاء فيه: " والتقوا فقبَلت رِيحُ الاقبالِ لأولياءِ الله، ودبَّرت رِيحَ الإِدبارِ لأعداءِ الله. . . فلم يبقَ لتلك العصبية المجاهرة بعداوتها وعدوانها، المترددة بين كفرها وكفرانها، من ينتمي إليها بسبب أو يضرب فيها بعرقٍ ونسب، وكذلك أخذ ربك القرى وهي ظالمة" ^(١٠٣). المعادلة الاجتماعية الأولى في هذا النص تقف على مسلمة: " أولياء الله وأعداء الله" والصحاب يريد فرض صورة أولياء الله على حزبه بدلالة قوله: " قبلت رِيحَ الإقبال" ويسعى لإلصاق عداوة الله تعالى بالحمدانيين بدلالة: " ودبَّرت رِيحَ الإِدبار. . ."، والمفارقة أنّ طرفي الحرب مسلمون عند جمهور المتلقين خارج النص الأدبي، ولم يكتف بذلك حتى يدخلهم في بوتقة الكفر والجحود متكاً على لغة الجناس في قوله: " كفرها وكفرانها".

أما المعادلة الاجتماعية الثانية فتتمثل بقصدية الاقتباس من القرآن الكريم في قوله: " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة" ^(١٠٤)، وغايته من هذا الاقتباس يشي بتشبيه العقاب الذي طال الحمدانيين بعقاب الله تعالى لأقوام نوح وهود وصالح ولوط ^(١٠٥). إنّ الاقتباس من النصّ الكريم يمثل موروثاً ثقافياً دينياً يساهم بجلب الصورة القديمة وجعلها في إطار قصصي جديد قد يؤثر بالوسط الاجتماعي الموالي والمتردد.

وفي رسالة التبشير بالنصر على " وهسودان بن محمد" في قوله: " وكان خيّل إليه أنّ حزونة" ^(١٠٦) المسالك إلى بلده تُثبِّط ^(١٠٧) الخيول عن استباحة صفحته، وصعوبة المنافذ إلى مقرّه تستأني الجيوش من الإناخة ^(١٠٨) بساحته، ولم يدر أنّ سعادة مولانا الملك السيّد تستخدم الأفضية ^(١٠٩)، وتعيد الدروب أفضية ^(١١٠)، و مناجح سلطانه ترجع المجاهل معارف، وتثني المناكر معالم. . . " ^(١١١).

تتصدر صورة من صور التوهم في قوله: " وكان خيّل إليه . . . "، والتخيّل نوع من أنواع الوهم، فصعوبة الأرض وخشونتها ظنها العدو أنها تمنع جيوش عضد الدولة النزول في ساحته، وهذه صورة بطولة مبالغ فيها يراد من ورائها ترسيخ وعي قائم عن شراسة الجنود وقائدهم عند الجمهور المتلقي، وهذه البطولات لا تكون لولا قيادة " عضد الدولة " الذي صوّر أفعاله تصويراً عجائبيّاً بثنائيات ضدية: " أفضية وأفضية، مجاهل ومعارف، منكر ومعالم ". هذه الثنائيات تقدم عضد الدولة بوصفه شخصية قوية خارقة للعادة، وهذه العجائبية تنفع الكاتب " في صراعه مع عناصر الكتلة، إذ لا يرضى أن يكون مقروءاً فقط؛ بل يحلم بإثارة جملة من التفاعلات تعود على صاحبها نهاية الأمر بما يقوم به نزعته و توجهه العام أو يفتح أمامه آفاقاً أوسع وأرحب " (١١٢). وهذا ما يريده الصاحب الذي يصارع من أجل أن يسود أدبه أولاً، وعقيدته السياسية من خلال أدبه ثانياً.

ثمة مواجهة بين عسكر " عضد الدولة " والخرسانيين وحليفهم " قابوس بن وشكمير " (١١٣) هذه المواجهة وقعت فيها أكثر من منازلة (١١٤)؛ حتى جاءت المنازلة الأخيرة التي يرى الكاتب أنها تستحق أن يقف عندها السرد التصاعدي؛ لشدتها وتميز البطولات فيها، فأجاد في رسم مشهدٍ مسرحٍ للواقعة مفيداً من لغة المجاز و البديع، إذ يقول: " فخيّلت الأرض مائجةً، والبحار هائجةً، و النجوم منكدرّة، و السماء منفطرةً، و صارَ الفارسُ أقربُ إلى الفارسِ من ظله، و السيفُ أدنى إلى الوريدِ من حبله، و تواصلت الضرباتُ بينَ زرقِ بالزاناتِ، لا يعرفُ الأحكامُ انفصامها، و أخذتِ الرماحُ تطيرُ شُررها، و النفوسُ تفارقُ قَصرها (١١٥)، و ثملتِ الرُّوبيئاتُ (١١٦) من الدماء، فتعثرتُ في النحورِ، و تكسرتُ في القلوبِ و الصدورِ " (١١٧)، جعل الصاحب الأرض الثابتة تدور في عيون الأعداء، و استعار لوصف شدة المواجهة

المبحث الرابع

الصور الإشهارية

الرسائل الأدبية: هي خطاب يقوم على وجود طرفين: مخاطب ومخاطب، ووصفها خطاباً لغوياً فإنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمحددات اجتماعية، فهي شبكة من العلاقات السياسية والثقافية^(١٢٢).

والاشهارية هي خطاب تواصلي ميدانه البكر الإعلام، والإعلام خطاب لغوي يدخل في عموم الحياة الاجتماعية للجمهور، ويشترك مع الخطاب الأدبي بالصيغة السردية، فضلاً عن البرهان الإقناعي^(١٢٣)، ويعتمد الإشهار على المغالاة في تقديم الحدث؛ لأن الكاتب يطمح أن يرسخ عقيدة يؤمن بها ويتنمي إليها، ويُسوق هذه العقيدة عبر الخطاب اللغوي الذي يمتنه، وهذا ما نجده في رسائل التبشير بالفتوح عند الصاحب، ومن نسق الخطاب يمكن الاستدلال على أنه يطمح لإشهار أفكاره من خلال أدبه للجمهور الذي يمثل الحاضنة الاجتماعية التي تُشهر الخطاب. إذ حرص الكاتب على أن يختم رسائل التبشير بصور إشهارية، ومن صور الإشهار: " طالعناك - أدام الله عزك - بهذا الفتح الباهر، لتوفر حظك من الأنس له، والشكر عليه، وتنتطق أعواد المنابر وألسنة المحاضر، فرأيك - أدام الله عزك - في إعلاننا موقع هذه البشري لديك، وما تورده من السرور عليك، وذكر ما توقعه من خبرك موفقاً إن شاء الله " ^(١٢٤). تطالعنا بنيتان دالتان على مقصدية الإشهار في النص، تتجلى الأولى بخطب المنابر وشبهها بـ " الاعواد " ^(١٢٥)، والثانية ألسنة المحاضر أي بين الجمهور، إذن فيهما دلالة على وجوب إشهار الخطاب بين الجمهور الموالي وغير الموالي؛ لأن الرسالة بصورها المتعددة تحاول فرض رؤية اجتماعية تؤمن بها فئة اجتماعية متسلطة على فئات أكبر لفرض نسق اجتماعي بوساطة بنيات لغوية تشكل منها الرسائل.

وفي رسالة جواب بشارة بتدلل الروم وطلبها الهدنة فإن الصحاب يختمها بصورة إشهارية، يقول فيها: " وخادمه^(١٢٦) مستشرفٌ لقراءة ما يُخاطَبُ به - إن شاء الله - محدثاً باستصفاء الروم وما يليها من بلاد الكفرة. . . " ^(١٢٧)، عند الوقوف على البنية الإشهارية لهذا النص نستنتج أن الصحاب يعول على إشهار هذا الحدث " بوساطة رسالته " من ولي الأمر في قوله " خادمه " كي يقرأ أو يحدث بما خوطب به، والقراءة والتحدث لا يكونان إلا بنسخ رسالة الصحاب على الخاصة و العامة، و الصحاب يبغى تمجيد رسائله من خلال رغبته بإشهارها.

أما في رسالة التبشير بالانتصار على ابن حمدان و بني شيبان؛ فالصاحب يُرغَّب بالابتهاج^(١٢٨) و الاحتفال اعتباراً بلطائف الله و إكباراً لعوارفه^(١٢٩)، هذا ظاهر لكن رغبة الأديب تطمح بأن يؤثر أدبه في الجمهور الذي أشهرت على مسامعه الرسالة، بترسيخ و عي قائم للموالين و و عي ممكن لغيرهم.

وفي رسالة التبشير بفتح أذربيجان و هزيمة و هسوذان، يحرص الصحاب على إشهار خبر النصر في قوله: " طالعناك - أدام الله تأييدك - نبأ هذا الفتح الجسيم خطراً، الكريم أثراً، لتتقدم بإشاعته في الأولياء و الرعية، و التحدث به على المنابر و الأندية، فأريك في العمل بذلك، و إعلامنا أخبارك و حاجتك موقفاً إن شاء الله " ^(١٣٠). الإبلاغ و الإخبار هدفان مهمان بغية الوصول للإشهار، و سبل الإشهار في هذا النص متعددة تبدأ بالأولياء و الرعية و تنتهي بالتحدث عن النصر في المنابر و الأندية لتتوسع دائرة الجمهور الذي يُعدُّ جزءاً محفزاً للمبدع الذي يوظف الظاهرة الاجتماعية في نصه.

من الواضح أن الصحاب كان يعول على خواتيم رسائله لأن فيها تصريحاً بضرورة إشهارها وسط الجمهور، إذ يقول: " طالعناك بهذا الفتح الممدودة أظلمته، المسعودة أهلته، المرفوعة ألبوته، المعمورة أنديته، لتصدع به على المنابر، و تشيع نبأه

بين الرعايا والعساكر، فيعلم الحاضر والبادي، ويوقف الموالي والمعادي، بأن الله متكفل بهذه الدولة الثابتة البنيان، الواضحة البرهان، وإن أُملي لأعدائها إلى مدة، واستدرجهم بعد أنفاس ممتدة، فرأيتك" (١٣١)، يقدم النصُّ نسقاً من التفكير يبدأ من قمة الهرم، لكن الغاية هي القاعدة التي تمثل المجتمع فنجد الصاحب يؤكد "الصدع بالخبر على المنابر، وتشيع نبأه بين الرعايا والعساكر" كي يعلم الحاضر والبادي، بل تصل لأن يتساوى في الإقناع الموالي والمعادي. والحال نفسها في الفتح الأكبر بجرجان فبنية النصِّ الإشهاري تشكل خاتمة للرسالة أيضاً، ويظهر ذلك في قوله: "حدّثناك - أدام الله عزّك - بنعمة الله وإن كبرت عن بيان المُخبر، ولسان المُبشّر، وإطناب الكاتب وإسهاب الخاطب، وكانت واسطةً في قلائد الدهور، وجامعةً لفوائد الجمهور. . . فأشع نبأ ما طالعناك به حقّ الإشاعة، وليقرأ على المنابر لتساهم الرعية أولياء الطاعة، وكتب بذلك إلى النواحي والأطراف، وأعلن بنشره في الضواحي والأكناف، وعلّمنا موقعه منك ومن الكافة وإن كان معلوماً. . ." (١٣٢). إن الجمهور عند الكاتب يشكل محور الإشهار، ولم يكتفِ بذلك؛ بل إنه وجه التماساً لأولي الأمر لإشاعة النبأ بما يستحق مع قراءته على المنابر ليشارك بالأمر الرعية أيضاً وصولاً إلى النواحي البعيدة والأطراف المترامية من الأرض.

الخاتمة

إنّ النصوص الفنية لا تتشكل بالموهبة وحدها، بل إن المبدع هو نتاج أعراف وثقافات تتداخل مع الموهبة الأدبية حتى يستقيما بنيات لغوية تلتزم بقوانين كلّ جنس أدبي شعراً كان أو نثراً. هذه البنيات ليست منقطعة عمّا هو خارج النص عند منظري علم الاجتماع الأدبي؛ بل هي مرتبطة ببنيات أكبر منها خارج النص تمثل الجمهور أو المجتمع بكلّ ما يحمل من وعي عقائدي وثقافي.

استطاعت الدراسة بكل مستوياتها من إثبات ارتباط الأدب بالمجتمع، فكانت البنيات الفنية تُضمّر انساقاً تحتاج إلى تأويل وتفسير؛ فكانت المدونة التاريخية خير معين لتفسير غوامض النصّ الأدبي وكشفها، ناهيك عن أن هذه المدونة هي بالأصل مرتبطة بالمجتمع وثقافته وأصول تفكيره فكانت النتيجة فهم ماهية البنيات الكبرى خارج النص.

أما المعجم فكان مورداً آخر لفك معميات ما غفلت عنه كتب التاريخ، وعليه احتجنا إلى تأويل بعض السياقات في البنية الصغرى لكشف ولو بعض من البنيات الكبرى الكامنة وراء النص.

إن الدراسة أكدت في غير موضع رغبة الصحاب و من كان وراءه فرض نمطٍ من التفكير يؤمنون به، يعدُّ ثابتاً من ثوابت عقيدة الدولة، لذا تبيننا فكرة مفادها أن المدونة الفنية " الرسائل " لم تكن بين الصحاب وولادة الأمر، وإنّما الغاية الكبرى تتجه صوب المجتمع الذي يراده أن تتوافق أفكاره وسلوكياته مع البنية العقدية للدولة البويهية، وبهذا رصدنا في بعض مضان الرسائل، أنها لم تكن تُعنى بوعي الرعية المواليين فقط بل كانت تسعى أيضاً لغير المواليين الذين لهم نمط تفكير مختلف عن عقيدة الدولة البويهية.

هوامش البحث

- (١) استرياذ: وهي مدينة تقع شمال فارس من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان. ينظر: معجم البلدان: ١ / ١٧٥.
- (٢) رسائل الصاحب: ٦ - ٧.
- (٣) عضد الدولة البويهبي: فناخسرو بن الحسن الملقب ركن الدولة ابن بويه، أحد المتغلبين على المُلْك في عهد الدولة العباسية بالعراق، وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة، وأول من لقب في الاسلام (شاهنشاه)، الأعلام للزركلي: ٥ / ١٥٦
- (٤) ينظر: الصاحب بن عباد الوزير الأديب: ١٢٤ - ١٣٠.
- (٥) ينظر: ذيل تجارب الأمم: ٦ / ١٤ - ١٦.
- (٦) ينظر: رسائل الصاحب: ٣٣، وينظر: الكامل في التاريخ: ٧ / ٣٩.
- (٧) رسائل الصاحب: ٢٣.
- (٨) ينظر: القاموس: ١١١٤.
- (٩) السميت: الطريق أو السير على الطريق بالظن، القاموس: ١٢٩.
- (١٠) الفلج: الظفر والفوز، القاموس: ١٧٥.
- (١١) يحاول الصاحب هنا رسم صورة أخلاقية دينية في جعله أعداء دولته من فئة باغية وهي الفئة التي تبادر بالقتال حتى يثبت بغيتها، لأن الفرقتين مسلمتان، وهنا بنية اجتماعية إسلامية مرتكزة على وعي قائم.
- (١٢) الصيال: من صال: سطا واستطال، القاموس: ٩٧١.
- (١٣) إمهائهم: من أمهى الفرس إذا أرخى لها، والفرس: طول رسنه، القاموس: ١٢٨٠.
- (١٤) رسائل الصاحب: ٢٧.
- (١٥) سوف تأتي عليه بمبحث منفصل.
- (١٦) ينظر: علم اجتماع الأدب، سيد بحرأوي: ٢٨.
- (١٧) هو شمس المعالي قابوس بن وشكمير ملك من ملوك الدولة الزيارية ورث الحكم عن أخيه (بيسون بن وشكمير) بداية سنة ٣٦٦ هـ على جرجان وطبرستان في خلافة الطائع العباسي، وسبب الأعداء بينه وبين عضد الدولة أن قابوس أجاز شقيق عضد الدولة (فخر الدولة) الذي تمرد على حكم أخيه مما جعل عضد الدولة يتخذ من هذه الإجازة حجة لاكتساح مملكة قابوس سنة ٣٧١ هـ، إلا أن قابوس استرد ملكه بعد وفاة عضد الدولة سنة ٣٨٨ هـ، ينظر: معجم الأدباء: ١٣ / ٢١٩ - ٢٣٣.

- (٤٥) المصدر نفسه والصفحة.
- (٤٦) ينظر: رسائل صاحب: ١٠.
- (٤٧) صاحب ينعت نفسه بهذه الصفة.
- (٤٨) جَدّه: أي عظّمته وحظّه، القاموس: ٢٤٠.
- (٤٩) هَمِيمَةٌ: طلباته، القاموس: ١١١٨.
- (٥٠) اُنحلت رِبْقَتُهُ: فُرِجَ عنه كِربُهُ، القاموس: ٨٣٤.
- (٥١) رسائل صاحب: ١٠.
- (٥٢) بلاغة الكتاب في العصر العباسي، محمد نبيه حجازي: ١٦٩.
- (٥٣) ينظر: ذيل تجارب الأمم ضمن تجارب الأمم: ٦ / ٢٢ و ٢٥ - ٢٦، ففي هذه الصفحات تفصيل عن الخلاف وصولاً لطلب الروم المهدنة.
- (٥٤) رسائل صاحب: ١١ - ١٢.
- (٥٥) يريد بحثه، ينظر: القاموس: ٥٧٥.
- (٥٦) يريد بحثه واختباره، ينظر: القاموس: ٤٤٣.
- (٥٧) آض: العودة إلى الشيء، وتحويله من حالة إلى حالة، فاستعير لمعنى الصبرورة، القاموس: ٥٨٦.
- (٥٨) صقعاً: يريد ناحيةً من نواحي الأرض، القاموس: ٦٨٧.
- (٥٩) رسائل صاحب: ١٢.
- (٦٠) ينظر: صاحب بن عباد الوزير الأديب: ١٠٣ وما بعدها.
- (٦١) قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون: ٥٥.
- (٦٢) ينظر: تاريخ بن الأثير: ٧ / ٣٥٩ - ٣٦١.
- (٦٣) أي تفاقم، القاموس: ٩٩٠.
- (٦٤) أي اشتدّ، القاموس: ٩٨١.
- (٦٥) يريد بغداد.
- (٦٦) المقانب: المقانب من الخيل: ما بين الثلاثين إلى الأربعين، أو زهاء ثلاثمائة، القاموس: ١٠٤.
- (٦٧) يريد مقام الخلافة وحكومة عضد الدولة.
- (٦٨) يريد صاحب أن يفرض وعياً قائماً بفرض الشكر فرضاً على الجمهور (الرعية) رغبوا في هذا الأمر أم لم يرغبوا استنباقاً لأي وعي ممكن جديد.
- (٦٩) صدف: أعرض وانصرف، القاموس: ٧٧٦.

- ٧٠ رسائل الصاحب: ١٣ .
- ٧١ ينظر: الصاحب بن عباد الوزير الأديب: ١٨٠ - ١٨١ .
- ٧٢ ينظر: المرجع نفسه: ١٨٢ .
- ٧٣ تجارب الأمم وتعاقب الهمم: ٥ / ٤٤٤ - ٤٤٥ .
- ٧٤ الكامل في التاريخ: ٧ / ٣٦٨ .
- ٧٥ يريد عضد الدولة .
- ٧٦ تهوك: المتهوك: المتحير في أمره .
- ٧٧ رسائل الصاحب: ١١ .
- ٧٨ ينظر: الكامل لابن الأثير: ٧ / ٢٥٩ - ٢٦١ .
- ٧٩ إبراهيم بن المرزبان كان أبوه صاحب أذربيجان، ولما توفي قامت حروب بينه هو وإخوته وبين عمه وهسودان الذي حاول أن يستولي على قلاع أذربيجان وأن يطرد أولاد أخيه، وقد حارب إبراهيم فهزمه على نحو ما يصف ذلك الصاحب، ثم لجأ إبراهيم إلى ركن الدولة البويهبي فأمدته بالجيوش لمحاربة (وهسودان) وقد تغلبت عليه أخيراً، ويظهر أن هذه الجيوش كانت كلها بأمرة عضد الدولة البويهبي، ينظر: الكامل: ٧ / ٢٥٩ - ٢٦١ .
- ٨٠ الذماء: بقية النفس، القاموس: ١٢٣١ .
- ٨١ ظبي: مواضع ضرب السيوف: ١٢٥٣ .
- ٨٢ شبا الحتوف: أي علت عليه الحتوف وطالته، ينظر: القاموس: ١٢٤٣ .
- ٨٣ الخيفة: من الخوف، أو قد يريد به السكين كناية عن السيف، القاموس: ٧٦ .
- ٨٤ الخزانات: جمع زانه: شبه مرزاق كان يرمي بها الديلم، أو هي نشم، القاموس: ١١٥١ .
- ٨٥ المداجاة: يريد المداراة، والمنح بين الشدة والرخاء، القاموس: ١٢٢٨ .
- ٨٦ الممارات: من الشك والجدل، القاموس: ١٢٧٨ .
- ٨٧ التبار: الهلاك، القاموس: ٣٢٠ .
- ٨٨ رسائل الصاحب: ١٦ .
- ٨٩ ينظر: معاني القراء، للقراء: ٢ / ١٢، ومخالفة المفسرين أصول الصناعة النحوية حتى أواخر القرن السادس للهجرة: ٢٥٦ .
- ٩٠ رسائل الصاحب: ٢٣ .
- ٩١ الكامل في التاريخ: ٧ / ٢٦٩ - ٢٧٠ .
- ٩٢ ينظر: سورة الأنفال: ٦١ .

- ٩٣) رسائل صاحب: ٢٤.
- ٩٤) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني: ٧٩.
- ٩٥) المرجع نفسه، والصفحة، وينظر: بنية الشكل الروائي، حسين بحراوي: ١٧٦.
- ٩٦) الغامط: الحقيق، القاموس: ٦٢٩.
- ٩٧) رسائل صاحب: ٧.
- ٩٨) بصّ: برق، لمع، القاموس: ٥٦٣.
- ٩٩) حججها: أي عن حاجبها، القاموس: ١٥٦.
- ١٠٠) يشير إلى الخندق الذي حفره قابوس بظاهر استرباذ، وكان قد بنى عليه أبراجاً رتب فيها الرماة، ينظر: ذيل تجارب الأمم ضمن تجارب الأمم: ١٦ / ٦.
- ١٠١) رسائل صاحب: ٧.
- ١٠٢) علم اجتماع الأدب، سيد بحراوي: ٢٧.
- ١٠٣) رسائل صاحب: ١٢-١٣.
- ١٠٤) هو: ١٠٢.
- ١٠٥) ينظر: تفسير الميزان (طبعة الأعلمي): ١١ / ٨.
- ١٠٦) حزونة: أي صعوبة المسالك، وخشونة الأرض، تاج العروس: ٤١٦ / ٣٤.
- ١٠٧) ثبط: ثبط عن الأمر: عوّقه، وبطاً به عنه، القاموس: ٦١٠.
- ١٠٨) الإناخة: أي الإقامة، القاموس: ٢٣٢.
- ١٠٩) الأفضية: يريد هنا دروب الموت، القاموس: ١٢٦٩.
- ١١٠) أفضية: أي متسعة، القاموس: ١٢٦٦.
- ١١١) رسائل صاحب: ١٦.
- ١١٢) علم الاجتماع الأدبي، د. أنور عبد الحميد: ٣٤٩.
- ١١٣) ينظر: رسائل صاحب: ٢٢.
- ١١٤) يقول صاحب: ((واختلف بيننا وبينهم اثنتا عشرة حرباً))، رسائل صاحب: ٢٧.
- ١١٥) تفارق قصرها: أي تفارق حبسها، ينظر: القاموس: ٤٢٠.
- ١١٦) الزؤينات: جمع (زوبين) وهو الرمح القصير، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة: ٨١.
- ١١٧) رسائل صاحب: ٢٨.
- ١١٨) يتناصن مع قوله تعالى: ((وإذا النجوم انكدرت))، التكوير: ٢، وقوله تعالى: ((إذا السماء انفطرت))، الانفطار: ١.

- ١١٩) ينظر: التفسير الكبير: ٣١ / ٦٨ و ٧٧، ومشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب: ٥٧ و ١٩٣.
- ١٢٠) أسلوبية البيان العربي من أفق القواعد المعيارية إلى آفاق النص الإبداعي، د. رحمن غركان: ٦٩.
- ١٢١) ينظر: الأسلوبية بوصفها مناهج: ٢١٥.
- ١٢٢) ينظر: حفريات المعرفة، ميشيل فوكو: ١٠٧ وما بعدها.
- ١٢٣) ينظر: مضمرة الخطاب في النص الأشعاري: ٣.
- ١٢٤) رسائل الصاحب: ٨.
- ١٢٥) ينظر: القاموس: ٢٦٩.
- ١٢٦) الضمير يعود على الصاحب.
- ١٢٧) رسائل الصاحب: ١١.
- ١٢٨) ينظر: مدخل لدراسة الإشهار، د. حميد حمداني: ٧٨.
- ١٢٩) ينظر: رسائل الصاحب: ١٣.
- ١٣٠) رسائل الصاحب: ١٨.
- ١٣١) المصدر نفسه: ٢٢.
- ١٣٢) المصدر نفسه: ٢٩-٣٠.

المصادر والمراجع:

- * غرکان، رحمن. ۲۰۱۴م. الأسلوبية بوصفها مناهج / الرؤية والمنهج والتطبيقات. بيروت. الدار العربية للعلوم ناشرون. ط ۱.
- * غرکان، رحمن. ۲۰۰۸م. أسلوبية البيان العربي من أفق القواعد المعيارية إلى آفاق النص الإبداعي. دمشق. دار الرائي. ط ۱.
- * الزركلي، خير الدين. ۲۰۰۲م. الأعلام قاموس تراجم. بيروت. دار العلم للملايين. ط ۱۵.
- * حجازي، محمد نبیه. ۱۹۸۶م. بلاغة الكتاب في العصر العباسي - دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب. ط ۲.
- * بحرأوي، حسن. ۱۹۹۰م. بنية الشكل الروائي / الفضاء الزمن الشخصية. المغرب. ط ۱.
- * لحمداني، حميد. ۱۹۹۱م. بنية النص السردی من منظور النقد الأدبي. المغرب. منشورات المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر. ط ۱.
- * الزبيدي، مرتضى الحسني. ۱۹۶۵م. تاج العروس من جواهر القاموس: تحقيق مجموعة من الباحثين. الكويت. مطبعة حكومة مسكويه، لأبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ۴۲۱ هـ). ۲۰۰۳م. تجارب الأمم وتعاقب الهمم: تحقيق سيّد كسروي حسن. لبنان. دار الكتب العلمية. ط ۱.
- * ضياء الدين، محمد الرزي فخر الدين بن (ت ۶۰۴ هـ). ۱۹۸۱م. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ط ۱.
- * الطباطبائي، محمد حسين. ۱۹۹۷م. تفسير الميزان: تصحيح حسين الأعلمي. بيروت. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. ط ۱.
- * متر، آدم. د. ت. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ترجمة محمد هادي أبو ريذة. بيروت. دار الكتاب العربي. ط ۵.
- * فوكو، ميشيل. د. ت. حفریات المعرفة: ترجمة سالم بفتوت. المغرب. المركز الثقافي العربي. ط ۲.
- * ظهر الدين الرّوذراوي، الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب (ت ۴۸۸ هـ). ۲۰۰۳م. ذيل تجارب الأمم. بيروت. دار الكتب العلمية. ط ۱.
- * رسائل صاحب بن عباد: صححها وقدم لها عبد الوهاب عزّام وشوقي ضيف. القاهرة. دار الفكر العربي. ط ۱.
- * طبانة، بدوي. ۱۹۹۲م. صاحب بن عباد الوزير الأديب العالم. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. د. ت.
- * بحرأوي، سيّد. علم اجتماع الأدب. لونغمان. الشركة المصرية العالمية للنشر. ط ۱.
- * الموسى، أنور عبد الحميد. ۲۰۰۹م. علم الاجتماع الأدبي. لبنان. دار النهضة العربية. ط ۱.
- * الواد، حسين. ۱۹۹۳م. في تاريخ الأدب/

- مفاهيم ومناهج. بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط ٢.
- * أبادي، العلامة محمد بن يعقوب الفيروز (ت ٧١٨ هـ). ٢٠١٠ م. القاموس المحيط: تحقيق وتقديم يحيى مراد. القاهرة. مؤسسة المختار للتوزيع والنشر. ط ٢.
- * المسدّي، عبد السلام. د. ت. قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون. تونس. الشركة التونسية للتوزيع.
- * ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، ٢٠١٢ م. الكامل في التاريخ: تحقيق عمر عبد السلام تدمري. بيروت. دار الكتاب العربي.
- * شير، ادي. ١٩٨٨ م. كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة. القاهرة. دار العرب للبستاني. ط ٢.
- * عبود، عبد الكاظم جبر. ٢٠١٦ م. مخالفة المفسرين أصول الصناعة النحوية حتى أواخر القرن السادس للهجرة. القاهرة. الشركة العربية المتحدة. ط ١.
- * سيّد قطب، مشاهد القيامة في القرآن الكريم. القاهرة. دار المعارف. د. ط.
- * الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ). ١٩٨٠ م. معاني القرآن: تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط ٢.
- * الحموي، ياقوت (ت ٦٢٠ هـ). ١٩٩٣ م. معجم الأدياء: تحقيق إحسان عباس، منشورات دار الغرب الإسلامي. ط ١.
- * الحموي، ياقوت. ١٩٧٧ م. معجم البلدان بيروت. دار صادر. د. ط.
- الدوريات:
- * لحمداني، حميد. -مدخل لدراسة الإشهار-. مجلة علامات، المغرب. العدد ٨. ١٩٩٨ م.
- * الديوب، سمير. -مضمّرات الخطاب في النصّ الإشهاري- مجلة الأدبية. العدد (٢). المغرب - طنجة. ٢٠٠٤ م.